الفرق والمذاهب المنتسبة إلى الإسلام

إعداد

صقر بن نزهان بن عبيد الروقي

النسخة الأولى

١٤٤٦هـ - ٢٠٢٤م

بسم الله الرحمن الرحيم

افترقت المذاهب المنتسبة إلى الإسلام من حيث مصادر التلقي ومنهج الاستدلال إلى ثلاث مدارس، وهي: مدرسة أهل الحديث، ومدرسة أهل الرأي، ومدرسة أهل الكلام.

فأما أهل الحديث، فمصدر تلقي علومهم الدينية، ومنهجهم في الاستدلال، قائم على القرآن الكريم والأحاديث النبويّة، بفهم العرب الأميين، الذين أنزل الوحيان بلغتهم، لأن الوحيين إنما أنلز بلغة العرب الأميين، فأهل الحديث، يحرصون على فهم النصوص الشرعية بناء على هذا الفهم.

وأما أهل الرأي، فمصدرهم في تلقي علومهم الدينية ومنهج استدلالهم قائم على الرأي والاستحسان، فكل ما رأوه واستحسنوه اتخذوه ديناً، سواء وافق القرآن الكريم والأحاديث النبويّة، أم لم يوافقهما.

وأما أهل الكلام، فهم أهل الفلسفة، فمصدرهم في تلقي علومهم الدينية، ومنهج استدلالهم، يأخذونه عن ملاحدة فلاسفة اليونان، مثل: فيثاغورس وافلاطون وارسطو وأفلوطين، فما قرره فلاسفة اليونان، اتخذوه ديناً، وإن خالف القرىن الكريم والأحاديث النبوية، وخالف فهم العرب الأميّين.

فإمام أهل الحديث، هو النبي محمد صلى الله عليه وسلم، ليس لهم إمام دونه، ثم الصحابة والتابعين وتابعي التابعين، وهم أهل القرون المفضّلة.

عن عبدالله بن مسعود رضي الله عنه قال: قال النبي صلى الله عليه وسلم: "خير الناس قرني، ثم الذين يلونهم، ثم الذين يلونهم، ثم يجيء أقوامٌ تسبق شهادة أحدهم يمينه، ويمينه شهادته".

قال إبراهيم النخعي، وهو من التابعين: "وكانوا يضربوننا على الشهادة والعهد".

رواه البخاري ومسلم.

فالنبي وصحابته الكرام، قرن، والتابعين، قرن، وتابعي التابعين، قرن.

والقرن هو الجيل من الناس.

ويحسب منهم وفيهم، من أقتفى أثرهم من أئمة الدين، كمالك بن أنس الأصبحي، ومحمد بن إدريس الشافعي، وأحمد بن حنبل الذهلي، وطبقتهم من علماء السنة.

وإمام أهل الرأي الذي أسّس مدرستهم هو ذر بن عبدالله الهمداني الكوفي، ومن كبار أئمتهم: أبو حنيفة النعمان بن ثابت الكوفي ثم البغدادي.

وإمام أهل الكلام الذي أسّس مدرسته، هو الجعد بن درهم الخرساني ثم الكوفي، وخلفه تلميذه الجهم بن صفوان الكوفي.

وما من مدرسة من هذه المدارس، إلا وهي تأخذ بشيء من مصادر الأخرى في التلقي، ومنهجها في الاستدلال، إلا أن لكل مدرسة أصل تعتمد عليه، وتحيل البقيّة إليه.

فمدرسة أهل الحديث، تأخذ بشيء من الرأي والكلام، ولكنها لا تقدم على النص الشرعي شيئاً، فهي تأخذ من الرأي والكلام، ما لم يرد به نص شرعي عن الله أو عن رسوله، ولا يتعارض مع ما ورد عنهما.

ومدرسة أهل الرأي، تأخذون بشيء من الحديث والكلام، ولكنهم لا يقدمون على الرأي شيئاً، دينهم يقوم على ما يستحسنونه من أراءهم، وإذا تعارض الحديث أو الكلام مع رأيهم، قدموا أراءهم، وأسقطوا الحديث والكلام.

ومدرسة أهل الكلام، تأخذون بشيء من الحديث والرأي، ولكنهم لا يقدمون على الكلام شيئاً، فدينهم يقوم على الكلام والفلسفة، وإذا تعارض كلامهم وفلسفتهم مع الحديث أو الرأي، قدموا الكلام والفلسفة، وأسقطوا الحديث والرأي.

وأهل الرأي وأهل الكلام، هم سبب ظهور البِدع والمبتدعة في الإسلام، لأن النصوص الشرعية من القرآن والسنة، ترد أحيانا بما لا يتوافق مع أهوائهم، فيضطرون في سبيل ذلك، إلى تحريف معنى الآية إن كان معناها الظاهر الذي تعرفه العرب من كلامها يخالف أهوائهم، أو تجاهلوا الآية إن أعيتهم الحيلة في تحريف معناها الظاهر، وإن كان حديثاً حرفوا معناه أيضاً، وإن أعيتهم الحيلة كذبوا به، لأنهم قد يستطيعون التكذيب بالحديث ولا يستطيعون التكذيب بالقرآن، أو تجاهلوه كما تجاهلوا القرآن.

فافترقت المذاهب المنتسبة إلى الإسلام من حيث الاتباع، أي: اتباع الكتاب والسنة، إلى فرقتين:

الأولى: أهل السنة والجماعة.

والثانية: أهل البدع والفرقة.

فأهل السنة والجماعة هم الذين يعتمدون في معرفة الإسلام على القرآن وما صح عن النبي صلى الله عليه وسلم والصحابة والتابعين وتابعي التابعين "وهم القرون المفضلة الأولى" من الأخبار ويسمونها الأحاديث أو الآثار ويقفون حيث وقفت نصوص الكتاب والسنة ولا يتكلفون علم ما لا يدرك علمه إلا بوحي من الله عز وجل فإن كان فيه وحي من الله قالوا به وآمنوا به وإن لم يكن فيه وحي سكتوا عنه ووقفوا عنده ويفسرون القرآن والسنة بما يتوافق مع ما تعرفه العرب من معاني كلامها ويقدمون النقل أي النصوص الشرعية من الآيات القرآنية والأحاديث النبوية على العقل فالعقل عندهم تابع للنقل لأن الله عز وجل جعل لعقول عباده حدودا في المعرفة لا يتجاوزها وسموا أهل السنة لأنهم يتبعون سنة النبي صلى الله عليه وسلم وهي طريقته ومنهجه التي عرفوها من خلال أحاديثه وآثاره وآثار أصحابه الذين هم تلامذته وآثار التابعين الذين هم تلامذة الصحابة وآثار تابعي التابعي الذين هم تلامذة التابعين وسموا أهل الجماعة لأنهم يدعون إلى الجماعة وهي التمسك

بكتاب الله عز وجل وسنة نبيه صلى الله عليه وسلم وأصحابه والتابعين وتابعي التابعين لأنه لا اجتماع في الدين إلا على هذين الأصلين.

وهذه الفرقة، هي نتاج مدرسة أهل الحديث.

وأما أهل البدع والفرقة فهم الذين يزيدون في الدين شرائع وعقائد وعبادات ومعاملات لم ترد في كتاب الله ولا في سنة رسول الله ولم تؤثر عن صحابي أو تابعي أو تابعي تابعي ويفسرون القرآن والسنة بما يتوافق مع أهوائهم وإن كان تفسيرهم يخالف قول النبي صلى الله عليه وسلم وما أثر عن الصحابة والتابعين وتابعي التابعين ولا يتوافق مع لغة العرب الذي تعرفه من كلامها وبما أن آرائهم مختلفة وأهواءهم متباينة فقد تفرقوا شيعاً وأحزاباً يبغض بعضهم بعضا ويلعن بعضهم بعضا ويكفر بعضها بعضا لذلك أسماهم أهل السنة: أهل البدع والفرقة.

فإن قال قائل: أوليس أهل السنة والجماعة يكفرون غيرهم من أصحاب البدع الغالية أيضا؟

والجواب: بلا. ولكن أهل السنة والجماعة لا يكفرون إلا من كفره الله ورسوله بأن دلّت الأدلة الشرعية من الكتاب والسنة على كفره وهذا بخلاف أهل البدع والفرقة فإنهم يكفرون أهل السنة والجماعة ويكفرون مخالفيهم من الفرق البدعية الأخرى لمجرد أنهم خالفوهم في أراءهم وأهوائهم التي ابتدعوها في دين الله. فتكفير أهل السنة والجماعة لغيرهم قائم على الدليل الشرعي وتكفير أهل البدع والفرقة قائم على الرأي والهوى.

وهذه الفرقة، أعني: أهل البدع والفرقة، هي نتاج مدرستي الرأي والكلام.

والبدع على قسمين:

بدع غالية وهي البدع التي تمس أصول الدين وثوابته الثابتة بالكتاب والسنة

وبدع يسيرة وهي التي لا تمس أصول الدين وثوابته وإنما هي عبادات وقربات يزيدونها في الدين لم يأمر بها الله عز وجل ولا نبيه صلى الله عليه وسلم مثل بدعة التغبير وهي إنشاد القصائد في الوعظ وبدعة الذكر الجماعي وبدعة الاحتفال بالمولد النبوي.

وكل دعوة إلى عبادة لم يشرعها النبي صلى الله عليه وسلم ولم يفعلها الصحابة أو التابعين أو تابعي التابعي فهي بدعة.

وللعبد أن يتقرب لله بما شاء من القربات شرط أن لا تخالف ما شرعه الله ورسوله من العبادات القلبية والقولية والفعلية وأن لا يدعو العباد إليها ولا يجعلها سنة يسنها للناس فعندئذ تصير بدعة ويأثم عليها.

والبدع جميعها مرفوضة لأن أصحابها إن سلموا من الإثم لم ينالوا الأجر على فعلها لقول النبي صلى الله عليه وسلم: "من عمل عملا ليس عليها أمرنا فهو رد".

ونحن هنا سوف نتطرق للبدع التي تمس أصول الدين وثوابته لخطورتها ولأن بعضها يذهب بإسلام العبد ويلحقه بالملاحدة والمشركين.

والبدع كثيرة وأصولها تسع: المرجئة والخوارج والقدرية والجبرية والمعطلة والممثلة والناصبة والشيعة والصوفية.

وجميعها نشأ أوّلها بالعراق.

فأول المرجئة هو ذر بن عبدالله الكوفي.

وأوّل الخوارج نشأ بحروراء بالعراق.

وأول القدرية معبد الجهني البصري.

وأول الجبرية، الجهم بن صفوان الكوفي.

وأول المعطلة، الجعد بن درهم الكوفي.

وأول الممثِّلة، أوائل الشيعة الرافضة بالكوفة.

وأول الناصبة، هم الحرورية بالعراق.

وأول الشيعة الرافضة، نشأ بالكوفة.

وأول الصوفية نشأ بالعراق.

إذا جميع هذه الفرق الضالة نشأت بالعراق، وأما فرقها ومذاهبها فتنشأ من ايّ مكان، فكأن العراق هو الأرض الخصبة التي تنشأ فيها البدع، حتى تصير قويّة، فتمدّ أغصانها إلى خارج العراق.

وهذا مصداق حديث النبي صلى الله عليه وسلم حين قال: "اللهم بارك لنا في شامنا، وفي يمننا". فقال بعض الصحابة: وفي نجدنا؟ قال: "اللهم بارك لنا في شامنا وفي يمننا". فقالوا: وفي نجدنا. قال: "هناك الزلازل والفتن، وبها يطلع قرن الشيطان".

وفي رواية: "اللهم بارك لنا في صاعنا ومدنا، وبارك لنا في شامنا ويمننا". فقال رجل من القوم: يا نبي الله! وعراقنا؟ قال: "إن بها قرن الشيطان، وتهيج الفتن، وإن الجفاء بالمشرق".

وقد أجمع شرّاح الحديث على أن المراد بنجدنا، العراق، لأن العراق نجد أهل المدينة.

أما المرجئة هم الذي يزعمون أن الأعمال ليست من الإيمان والمقصود بالأعمال هنا هي العبادات التي أمر الله عز وجل بها كالصلاة والزكاة والصوم والحج وغيرها من العبادات والقربات التي يتقرب بها العبد إلى ربه بمعنى أن الإنسان إذا لم يؤدي شيئا من العبادات فهذا لا يضره وأن الإيمان في قلب العبد لا يزيد ولا ينقص.

ثم هم يفترقون في القدر الذي يستحق به العبد أن يقال عنه مؤمن إلى أربع فرق:

الأولى تقول: أن الإيمان اعتقاد بالقلب فقط دون إقرار باللسان أو عمل بالجوارح.

وأول من عرف بهذا القول هو الجهم بن صفوان الكوفي المتوفى سنة ١٢٨هـ. لذلك يقال لهم: مرجئة الجهمية.

والثانية تقول: أن الإيمان إقرار باللسان فقط دون اعتقاد بالقلب أو عمل بالجوارح.

وأول من عرف بهذا القول هو محمد بن كرام – بضم الكاف وتشديد الراء – السجستاني المتوفى سنة ٢٥٥هـ. ولذلك يقال لهم: مرجئة الكرامية.

والثالثة تقول: أن الإيمان اعتقاد بالقلب وقول باللسان فقط دون عمل الجوارح وأن أعمال الجوارح شرط كمال فقط.

وأول من عرف بهذا القول هو ذر بن عبدالله الكوفي المتوفى سنة ١٢٠هـ وقد تبنى هذا القول أبو حنيفة النعمان بن ثابت الكوي ثم البغدادي، المتوفى سنة ١٥٠هـ، فنُسِب هذا المذهب له ولأتباعه، فقيل: مرجئة الأحناف.

وهنا تنبيه: وهو أني لا أعلم في هذه الفرق الثلاثة من يحكم بإسلام من يخالفها في معتقداتها فكل فرقة من هذه الفرق الثلاثة تؤمن بمعتقدات أخرى في باقي مسائل العقيدة ولا يظهر إرجاؤها إلا لمن تابعها في معتقدها.

والرابعة تقول: أن العالم إذا اجتهد وأخطأ فهو معذور باجتهاده والعامة إذا أخطئُوا معذورون بجهلهم.

وأول من قال بهذا القول هو الجاحظ عمرو بن بحر البصري المتوفى سنة ٢٥٥هـ، وهو من المعطلة.

والخامسة تقول: أن الإيمان قول وعمل واعتقاد ويزيد وينقص فيوافقون السنة ظاهراً ولكنهم يزعمون أن العبد إذا نطق الشهادتين وحافظ على الوضوء والصلاة فلا يضره شيء وإن وقع في بدعة مكفرة كالشرك الأكبر أو الإلحاد في صفات الله ونحو ذلك ويعتذرون له

لدرء حكم الكفر عنه بصنوف من الأعذار التي هي في حقيقتها لا تسمن ولا تغني من جوع! بعضها وضعوه في غير مواضعه وبعضه باطل بنص القرآن والسنة فوافقوا أهل السنة نظرياً ووافقوا الجاحظية حكماً.

وأقدم من قرر هذا المعتقد وأصّل له وجعله سنة حسب علمي هو أحمد بن تيمية الحراني ثم الدمشقي المتوفى سنة ٧٢٨هـ.

قلت: وأكثر المنتسبين إلى المدرسة السلفية اليوم يعتنقون هذا المذهب الهجين!

وأما الخوارج فهم الذين يستحلون الخروج بالسيف على أئمة المسلمين وعامتهم وهم فرقتان: غلاة وغير غلاة.

فالغلاة فرقتان:

الأولى: هم الذين يكفرون أصحاب الكبائر كالزاني والسارق وأشباه هؤلاء ويزعمون أنهم إذا ماتوا من غير توبة فهم مخلدون في النار ويستحلون دماءهم وأموالهم وأعراضهم. وهم الحرورية. الذين ظهروا زمن علي بن أبي طالب بحروراء بالعراق.

والثانية: هم الذين يقولون أن مرتكب الكبيرة في منزلة بين المنزلتين. ففي الدنيا يجرون عليه أحكام المسلمين وفي الأخرة يجرون عليه أحكام الكافرين ويخلّدونه في النار. وهم المعتزلة. وأول من قال بهذا القول إمامهم واصل بن عطاء الغزال البصري المتوفى سنة ١٣١هـ.

وأما غير الغلاة فهم طائفة من المسلمين لم يكفروا أحدا بكبيرة من كبائر الذنوب ولم يقولوا بالمنزلة بين المنزلتين ولكنهم خرجوا على أئمة المسلمين لمظلمة وقعت منهم أو لفسق اشتهر عنهم زعموا أنهم خرجوا إنكارا للمنكر فوقعوا في منكر أشد منه.

وأما أهل السنة والجماعة فيقولون: أن الإيمان يزيد بالطاعة وينقص بالمعصية وأن الإيمان اعتقاد بالقلب ونطق باللسان وعمل بالجوارح لا يجزئ شيء من هذه الثلاثة عن الأخر. والجوارح هي العين والأذن والفم واللسان واليدين والقدمين، وأن العبد قد يكفر باعتقاده أو قوله أو عمله.

وأن الأعمال على أربعة أقسام:

الأول: أعمال أمر الله بالقيام بها وأخبر أن تركها كفر وردة عن الإسلام.

الثاني: أعمال نهى الله عنها وأخبر أن القيام بها كفر وردة عن الإسلام.

الثالث: أعمال أمر الله بها وأخبر أن تركها معصية ولكن تاركها لا يكفر.

الرابع: أعمال نهى الله عنها وأخبر أن القيام بها معصية ولكن من عملها لا يكفر.

فمن وقع في اعتقاد أو عمل مكفر إن كان لا يلزم من تكفير من وقع فيه إقامة الحجة فهو كافر وإن لم تقم عليه الحجة وإن كان يلزم منه إقامة الحجة فهو كافر بعد قيام الحجة عليه ومن وقع في معصية نقص إيمانه بقدر المعصية التي ارتكبها ولكنه لا يكفر فإن تاب في الدنيا فالله يغفر له وإن مات ولم يتب فهو تحت مشيئة الله إن شاء عذبه بقدر ذنوبه ثم أدخله الجنة وإن شاء عفى عنه وأدخله الجنة ومن عمل بالطاعة زاد إيمانه بقدر الطاعة التي أداها.

وأنه لا يجوز الخروج على أئمة المسلمين بالسيف حتى نرى منهم كفرا بواحا فيه عندنا من الله برهان مع القدرة على الخروج عليهم وأما إن كان هؤلاء الأئمة فساقا أو ظلمة فلا ينازعوا في أمرهم إلا إذا أمنت الفتنة فيخلعون ويستبدلون بإمام صالح يقيم للناس أمور دينهم ودنياهم. وأما مع عدم القدرة في الحالتين فيجتهد المسلم في الدعوة إلى الله على بصيرة ونشر العلم النافع.

فسلموا بذلك من مذهب المرجئة ومذهب الخوارج معا.

وأما القدرية فهم ثلاث فرق:

الأولى: هم الذين يزعمون أن الله عز وجل لم يعلم بالحوادث قبل وقوعها ولا قدر شيئا ولا قضاه ولا كتب ولا شاء شيئا وهم نفاة القدر.

وأول من قال بذلك هو معبد الجهني البصري، المتوفى سنة ٨٠ هـ.

والثانية: وهم الذين يقولون بأن الله يعمل بوقوع الحوادث مجملة ولكنه لا يعلم بتفاصيل الأحداث إلا عند وقوعها.

وأول من قال بذلك حسب علمي هو أبو المعالي الجويني النيسابوري المتوفى سنة ٤٧٨هـ.

والثالثة: وهم الذين يقرون بأن الله علم بوقوع الحوادث قبل وقوعها وكتبها بالقلم في اللوح المحفوظ ولكنه لم يشأ وقوع الشر والباطل والمعصية ويعنون بالمشيئة هنا المشيئة الكونية.

وأول ما نشأت هذه الطائفة حسب علمي بالعراق، في أوائل القرن الثالث الهجري.

وأما الجبرية فهم الذين يزعمون أن الله علم بالحوادث قبل وقوعها وقدّرها وقضاها وكتبها وشاءها خيرها وشرها ولكنهم يفسرون القدر بالجبر فيزعمون أن الله عز وجل جبر الخلائق على أفعالهم تعالى الله علوا كبيرا.

وأول من قال بذلك هم الجهمية.

وهناك فرقة أخرى تدعى المجبلة خرجت من ضئضي الجبرية، يزعمون أن الله تعالى جبل العباد على أفعالهم فالمخلوق عندهم يولد حين يولد مسلماً أو كافرا وهؤلاء خلافهم مع الجبرية أشبه ما يكون بالخلاف اللفظي فقط.

والعجيب أن بعض أئمة أهل الحديث والسنة المتقدمين يتبنون هذا المذهب وهو مذهب مخالف للكتاب العزيز ولسنة النبي ولكن اشتبهت عليهم معرفة معاني بعض الأحاديث فوقعوا في الخطأ.

وأما الصواب إن شاء الله تعالى وهو ما دلت عليه الأدلة الشرعية من الكتاب والسنة، ودلّت عليه العقول الصحيحة والفطر السليمة، هو أن الله عز وجل لكمال علمه علم ما سوف يقع من الحوادث قبل وقوعها وأنه إذا شاء أن يعلم شيئا علمه ثم خلق القلم والكتاب مما شاء فأمر القلم بكتابة ما سبق في علمه أنه كائن فكتب ذلك كله في الكتاب وشاء وقوع ما سبق في علمه أنه واقع من حق وباطل وطاعة ومعصية وخير وشر مشيئة كونيّة أي أذن بوقوع ذلك فلا يقع في ملك الله إلا ما أذن الله بوقوعه وقسم بينهم أرزاقهم وآجالهم ومآلهم على ما سبق في علمه فيهم ثم خلق الخلق على ذلك فكل مخلوق ميسّر لما سبق في علم الله أنه كائن منه وعليه. فالقدر عند أهل السنة هو الإيمان بعلم الله الأزلي ومشيئته النافذة.

وأما المعطلة فهم الذين ينفون صفات الله تعالى أو بعضها مستندين في تأويلها إلى علم الفلسفة – إن صحة تسميته علماً – لذلك يقال للمعطلة: أهل الكلام وأهل الفلسفة؛ لأنهم يستمدون تعطيلهم للصفات من علم الفلسفة. وأما ما ورد في كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم من ذكر صفات الله فهم فيه على فرقتين:

الأولى: تأول معاني هذه الصفات بما يخالف معناها الظاهر كتأويلهم صفة الاستواء بالاستيلاء والغلبة والقهر وصفة اليد بالقوة أو النعمة ونحو ذلك ويقال لهم: المتأولة.

الثانية: تفوِّض معاني هذه الصفات مع اعتقادهم أنها ليست على ما يظهر من معانيها التي تعرفه العرب من كلامها ويزعمون أنها من المتشابه الذي لا يعلمه إلا الله عز وجل ويقال لهم: المفوضة.

والقاسم المشترك بين المتأولة والمفوّضة هو نفي ما تدل عليه هذه الصفات من معانٍ ظاهرة! لأن إثباتها عندهم يقتضي شبيه الله بخلقه! ولكنهم يختلفون هل تأول أو تفوَّض.

والمتأولة انقسموا بدورهم إلى فرقتين:

الأولى تقول: بأن الله تعالى وتقدس في كل مكان بذاته. وهم الحلولية والاتحادية والوجودية والشهودية.

وأول من عرف بهذا القول هو الجعد بن درهم الكوفي المتوفى سنة ١٢٤هـ وأخذه عنه تلميذه الجهم بن صفوان الكوفي المتوفى سنة ١٢٨هـ فنسب هذا المذهب إليه، فقيل: الجهمية.

والثانية تقول: بأن الله تعالى لا يعرف له مكان وأنه لا داخل العالم ولا خارجه ولا مّتصل به ولا منفصل عنه ولا يمينه ولا شماله ولا فوقه ولا تحته.

وأول من قال بذلك هم المعتزلة بالعراق.

وعنهم أخذه رجلان هما:

الأول: أبو منصور الماتريدي السمرقندي المتوفى سنة ٣٣٣هـ وبثّ هذا المذهب في بلاد العجم، وعرف المذهب في بلاد العجم باسمه فقيل: الماتريدية.

والثاني: وأبو الحسن الأشعري البصري ثم البغدادي المتوفى سنة ٣٢٤هـ وبثّ هذا المذهب في بلاد العرب والقبط والبربر والسودان، وعرف المذهب في بلاد هذه الأمم باسمه فقيل: الأشاعرة.

وهؤلاء لم يأخذوا صفات الله تعالى من كتاب الله ولا من سنة رسول الله، ولا فهموا ما ورد في القرآن والسنة من صفات الله تعالى بفهم العرب الأميين الذين أنزل الوحيان بلغتهم، بل إنهم أخذوا ما وجدوه في كتب ملاحدة فلاسفة الإغريق كأفلاطون وأرسطو وجالينوس

وأفلوطين وأشباههم من الضلّال من الصفات التي وصفوا الله تعالى بها وهؤلاء الفلاسفة ليسوا أنبياء ولا يوحى إليهم بشيء وإنما يرضخون من رؤوسهم، ويتكلفون علم ما لا يمكنهم علمه إلا بخبر من الله أو من رسوله فأخذ هؤلاء المغبونون من الجهمية والماتريدية والأشاعرة ما سطره هؤلاء الدجاجلة الفلاسفة وأرادوا أن يجلوه ديناً في الإسلام، لما وجدوا أن القرآن والسنة ولغة العرب لا توافقهم على ذلك، عمدوا أولا إلى لغة العرب فحرفوا معاني الكلمات الي تتعارض معانيها مع أقوال أئمهم فلاسفة الإغريق كادعائهم أن استوى تأتي بمعنى استولى أو غلب وقهر. أو ادعائهم وقوع حذف في جمل لا يمكن وقوع الحذف فيها في لغة العرب إمعانا منهم في إضلال الخلق والتدليس والتلبيس عليهم.

ثم إن المعطلة هؤلاء لما علموا أن مذهبهم لا يروج بين الناس إلا بالانتساب إلى مذهب أهل السنة أشاعوا بين الناس أنهم من أهل السنة وأقبلوا على تفسير القرآن وشرح الأحاديث ليحرّفوا معانيها وفق مذاهبهم حتى راج مذهبهم وانتشر فكرهم {وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ اللَّهُ وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ}.

لذلك وجب التنبيه على أن أكثر التفاسير وجميع كتب شروح الأحاديث قام بوضعها هؤلاء الضلال لإضلال الخلق وصدهم عن دين الله تعالى فلا تغتروا بمن يثني على تلك الكتب ويثني على مؤلفيها ويوصي بها فإن العقل والفقه والدين نعمة حرمها هؤلاء نسأل الله العافية.

وأما الممثلة فهم على فرقتين:

فرقة يمثلون صفات الله بصفات خلقه في حقائقها فيقولون أن الله تعالى وتقدس له جسم مكوّن من عظم ولحم وعصب ومخّ ودم. وهم الجواربيّة فرقة من فرق الرافضة، نسب إلى رجل يدعى أبو داود الجواربي عاش في النصف الأول من القرن الثالث الهجري وبهم يقول أن حقيقة ذات الله أنها نور وبه قال الجواليقية وهي فرقة من فرق الرافضة أيضاً تنسب

إلى رجل يدعى إبراهيم الجواليقي عاش في النصف الثاني من القرن الثاني الهجري. وهذه الفرقة لم يعد لها وجود.

وفرقة يمثّلون صفات الله الى بصفات خلقه بما فيها من كمال أو نقص. وأول من عرف بذلك هو معبد الجهني المتوفى سنة ٨٠ هـ عندما زعم أن علم الله تعالى مثل علم خلقه تعالى الله عن قوله حيث زعم أن الله لا يعلم بوقوع الأشياء قبل وقوعها. وبعض الجهلة من العامة وقليلو العقل قد يظنون أن صفات الله تماثل صفات خلقه بما فيها من كمال أو نقص.

وفرقة يمثّلون صفات المخلوقات بصفات الله تعالى من حيث الكمال فيزعمون أن من الملائكة والأنبياء والأولياء والمشايخ من صفاته تماثل صفات الله تعالى في كمالها فهم يقدرون ويسمعون ويبصرون ويعلمون كما يقدر الله تعالى ويسمع ويبصر ويعلم. وهؤلاء هم الوثنيّون الذين ينتسبون إلى الإسلام.

وأما أهل السنة والجماعة يقولون: بأن لله عز وجل أسماء وصفات ورد ذكرها في القرآن والسنة وأن القرآن والسنة نزلت على أمة أمية لا يعرفون من الكلمات إلا ما ظهر من معانيها فمحال أن يخاطب الله عز وجل عباده بكلام لا يعرفون معناه ولا يهتدون إلى فحواه فهم يفسرون هذه الصفات بما تعرفه العرب من كلامها ويفوضون معرفة الكيفية لله سبحانه وتعالى فالمعطلة يفوضون المعنى وأهل السنة يثبتون المعنى ويفوضون الكيفية مع نفي الشبيه لله عز وجل في كمال صفاته، ولا يعني هذا نفي الشبه من كل الوجوه لكن صفات الله عز وجل لا يشبهها شيء في حقائقها وفي كمالها وعظمتها وجلالها وجمالها ويقفون حيث وقفت النصوص الشرعية من القرآن والسنة فلا يزيدون ولا ينقصون.

وأما الناصبة فهم الذين ناصبوا عليّاً بن أبي طالب العداء.

وأما أهل السنة فيؤمنون أنه من خيار خلق الله عز وجل وأن الوقيعة فيه إن صدرت من عالم فهي دليل على زيغ وضلال وإن صدرت من جاهل فهي دليل جهل وحمق.

وأما الشيعة فهم على ثلاث فرق:

الأولى: توالي جميع الصحابة وتقول خير الصحابة أبو بكر ثم عمر ولكنها تزعم أن علي أفضل من عثمان وقد قال بهذا القول بعض أئمة أهل السنة منهم أبو عبدالله شريك بن عبدالله القاضي وهؤلاء مخطئون مخالفون لما أجمع عليه الصحابة من تقديم أبي بكر ثم عمر ثم عثمان

والثانية: توالي جميع الصحابة ولكنها تزعم أن علي أفضلهم وأفضل من أبي بكر وعمر وعثمان وقد وقع في هذا القول بعض أئمة أهل السنة منهم أبو عامر موسى بن عامر المرّي فهؤلاء مخطئون ولكن خطأهم أشد من خطأ الأولى.

والثالثة: وهم غلاة الشيعة، ويقال لهم: الرافضة، وهم الذين يتعصبون لعلي بن أبي طالب وذريته ويتبرئون من الصحابة جميعا إلا ثلاثة نفر سلمان الفارسي والمقداد بن الأسود وعمار بن ياسر.

والرافضة فرق شتى وبين هذه الفرق بعض الاختلافات لكنهم يتفقون على أمور منها: عصمة آل البيت وهم علي وزجته فاطمة وبنيه منها أي: أنهم معصومون من الخطأ والزلل والمعاصي وإعطائهم شيئا من خصائص الربوبية والألوهية تصريحا أو تلميحا بحيث يصرفون لهم شيئا من العبادات كالدعاء والاستعانة والاستغاثة والاستعاذة ويزعمون أن هذا الشرك قربة لهم عند الله لأنهم وحسب زعمهم إنما يتخذونهم وسطاء وشفعاء لهم عند الله عز وجل ويزعمون أيضا أن الله عز وجل لم يبعث الرسل لدعوة الناس إلى توحيد الألوهية وإنما بعثهم لدعوة الناس إلى توحيد الربوبية فهؤلاء الرافضة مشركون.

ولم يكن علماء أهل السنة يطلقون على الرافضة اسم الشيعة بل كانوا يطلقون عليهم أسماء أخرى كالسبئية والزنادقة. بينما كان الرافضة ينتحلون التشيع وموالاة أهل بيت النبي صلى الله عليه وسلم.

والرافضة هؤلاء فرق لم يتبقى منها سوى ثلاثة فرق: الجعفرية والإسماعيلية والنصيرية وبين هذه الفرق اختلافات يسيرة، ولكنها تجتمع فيما ذكرناه.

ومن ضئضي الإسماعيلية نشأت فرقة الدروز. نسبة إلى مؤسسها محمد بن إسماعيل الدرزي والذي كان يدعي ألوهية الحاكم بأمر الله الفاطمي العبيدي.

وأما أهل السنة والجماعة فيؤمنون بعدالة جميع الصحابة وأن خير هذه الأمة بعد نبيها صلى الله عليه وسلم أبو بكر ثم عمر ثم عثمان ثم باقي العشرة المبشرين بالجنة ومنهم علي بن أبي طالب ثم من أسلم قبل الفتح، ثم من أسلم بعد الفتح، ويستدلون على ذلك بآثار مرويّة عن الصحابة.

وأما الصوفية فهم قوم من المسلمين زعموا أنهم زهدوا في الدنيا فانقطعوا للعبادة ولبسوا الصوف والخشن من الثياب إلا أنهم وقعوا في بعض البدع اليسيرة كبدعة الذكر الجماعي وما شابه ذلك.

وأول ما ظهروا بالعراق.

ولا أعرف اليوم أحدا من العباد والزهاد ينتسب إلى الصوفية اليوم فقد أصبح اسم الصوفية حكرا على غلاة الصوفية.

وغلاة الصوفية فرق من الصوفية وقعوا في التعطيل وهو انكار صفات الباري سبحانه كما وقعوا في التمثيل بحيث مثلوا صفات المخلوقات بصفات الله في الكمال الذي لا ينبغي إلا لله تعالى. لذلك صرفون الدعاء والاستعانة والاستغاثة والاستعاذة للملائكة والأنبياء والصالحين ومعظميهم من الإنس والجن ويزعمون أن هذا الشرك قربة لهم عند الله

لأنهم وحسب زعمهم إنما يتخذونهم وسطاء وشفعاء لهم عند الله عز وجل ويزعمون أيضا أن الله عز وجل لم يبعث الرسل لدعوة الناس إلى توحيد الألوهية وإنما بعثهم لدعوة الناس إلى توحيد الربوبية فهؤلاء الصوفية مشركون.

وأما أهل السنة والجماعة فيؤمنون أن الله عز وجل بعث الأنبياء لدعوة الناس إلى توحيد الربوبية والألوهية والصفات وإلى جميع شرائع الإسلام وأن على الإنسان أن يتقيد بجميع ذلك كله ولا يخالفه وأن الله عز وجل أحل لعباده الطيبات مما أحل لهم فعلى العباد أن يأخذوا منها كفايتهم فلا يركنوا إلى الدنيا مطلقا ولا يتركوها مطلقا.

وجميع هذه الفرق التسع، اجتمعت في خمس فرق هم: الرافضة والإباضية والصوفية الأشاعرة والصوفية الماتريدية والصوفية الحلولية.

وشذّت عنهم طائفة وتسمَّت باسم: السلفية، حاولوا التمسك بمذهب السنة، وهذه الطائفة اخترم مذهب المرجئة والخوارج أكثر المنتسبين إليها، حتى أضحى أهل السنة المحضة قلة قليلة.

ولأهل السنة دليل شرعي من الكتاب والسنة على كل قول من أقوالهم إلا أني أعرضت عن ذكرها اختصاراً فلتبحث في مضانها.

وما من بدعة من هذه البدع إلا وفي كتاب الله عز وجل وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم وما أثر عن الصحابة والتابعين وتابعي التابعين ما يردها ويكذبها.

وأكثر أهل البدع لا يعتقدون صحة ما هم عليه من الباطل ولكن لما كانت بدعهم سبيلا لنيل شيء من متاع الدنيا وزينتها من مال أو جاه تمسكوا بها ونافحوا عنها ابتاعوا الحياة الدنيا بالآخرة وأولئك هم الخاسرون.

فالواجب على المسلم الحريص على دينه أن يتجنب هذه الفرق ويعلم أن السلامة في التمسك بكتاب الله عز وجل وما صح عن النبي صلى الله عليه وسلم وصحابته والتابعين

من الأخبار وأن لا يتكلف علم ما لا يدركه علمه إلا بوحي من الله عز وجل وأن لا يقول على الله بغير علم فيكون من الهالكين.

قال تعالى في سورة الأعراف: {قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَالْإِثْمَ وَالْبَغْيَ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَأَن تُشْرِكُوا بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِ سُلْطَانًا وَأَن تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ}.